الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بنى الأحمر
(635-798هـ/1238-1492م)

اعداد

إسراء محمد أحمد موسى

المعيدة بقسم التاريخ

إشراف

أ.د محمود إسماعيل عبد الرازق

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية الآداب – جامعة عين شمس

أ.م.د آمال محمد حسن

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية البنات – جامعة عين شمس

د. صفى علي محمد عبدالله

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية البنات – جامعة عين شمس

الملخص:

يتناول هذا البحث الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر، وتناولنا خلاله مقومات الزراعة من التربة الخصبة والمناخ ومصادر الري المتعددة التي ساعدت على قيام زراعة ناجحة مثمرة في مدن وقرى المملكة، ثم تحدثنا عن نظام الأراضي الزراعية وامتلاك كبار رجال الدولة للضياع الواسعة المتعددة ونظام اراضي الأحباس وأراضي الإقطاع، وأصبح في ظل هذا النظام السواد الأعظم من الزراع يعملون كأجراء في الأرض لدى الطبقة الخاصة والمتوسطة، هذا بالإضافة إلى العوامل المؤثرة في الزراعة التي أثرت على المحاصيل الزراعية من السيول الجارفة وعدم سقوط الأمطار، والثورات التي اندلعت بين أفراد الأسرة الحاكمة، والأوبئة، وتعرضت للمحاصيل الزراعية في المملكة ونظام تخزين المحاصيل.

المقدمة:

ازدهرت الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر بفضل ما تمتعت به المملكة من وسائل لازمة للزراعة، أهمها وفرة المصادر المائية مثل نهر شنيل وحدرة والمنصورة، وجودة التربة، وتنوع المناخ الذي كان له أثره في تنوع المحاصيل والثمار الأمر الذي أفسح مجالًا واسعًا لمن يفلحون هذه الأرض، ويغرسون الحدائق، ويربون إلى جوارها الماشية، تساعدهم على ذلك وسائل الري والصرف التي انتظمت منذ عصر الدولة الأموية في وديان الاندلس وما أنشئ منذ ذلك الحين من القناطر الشهيرة، والمصارف التي لا تحصر، حيث كان الماء يجلب من مصادره إلى مناطق الزراعة بالطرق الفنية() .

اشتهرت غرناطة بالبسائط الخصبة والمناطق الخضرة، ومن أهم هذه المناطق منطقة "فحص غرناطة" التي تفنن الفلاحون في فلاحتها، فأنتجت المحاصيل المختلفة طوال العام، وتحدث ابن الخطيب عن الزراعة، فذكر ان فن الفلاحة بلغ شأنًا عظيمً، وأن سكان الاندلس كانوا على معرفة بطرق الري والتنبؤ بأحوال الطقس، كما أحاطوا علمًا بخصائص النبات، فجادت مزارعهم إلا في أوقات الحروب كانوا يلجأون إلى استيراد ما يكفيهم من الممالك المجاورة()

اهتم سلاطين بني نصر بالزراعة لأنها من القطاعات الحيوية للاقتصاد النصري فاعتنوا بها عناية فائقة، وقد وردت الكثير من الاشعار التي تغنت بسخاء وعطاء أرضها، مثل قول أبى بركات البلفيقي

غرناطة ما مثلها حَضْرَهْ الماء والبهجة والخُضْرَة()

وقول ابن الخطيب بأن " أرضها لا تعدم زريعة ولا ريعًا"() .

وهب الله غرناطة طبيعة جغرافية غنية بالخيرات والثروات الطبيعية التي أدت إلى قيام حرف الزراعة والرعي والصناعة والتجارة فيها منذ أمد بعيد().

الزراعة:

من أنشطة الحياة المهمة التي تؤثر في تطور الحضارة الإنسانية وبقاء الدول وزوالها، وذلك مستمد من كونها مورداً طبيعياً يرتكز عليه النشاط الاقتصادي بشكل كبير، وهى من أهم الحرف التي زاولها السكان في بلاد الأندلس().

مقومات الزراعة في مملكة غرناطة:

قام النشاط الزراعي نتيجة تضافر مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية، أثرت على نوعية الإنتاج الزراعي وكميته، وعلى المكان الذى يمارس فيه وفى مقدمة هذه المقومات:

التربة الخصبة حيث أشارت أكثر المصادر إلى خصوبة بلاد الأندلس عامة، لوفرة المياه الجارية والأنهار العذبة0 .

امتازت أرض غرناطة والأراضي التابعة لها بالجودة والخصوبة واللين والرطوبة وقوة التأثير، وكانت غرناطة تشرف من الجنوب الغربي على فحص أو مرج عظيم الخصب، وافر النماء، يمتد غربًا من مدينة لوشة، ولجودة أراضي هذا المرج شبهه المؤرخون بغوطة دمشق، حيث تخترقه الجداول، ويغص بالقرى والجنات، وكان أهالي غرناطة يهرعون إليه في ليالي الصيف والربيع0.

وصف ابن الخطيب هذا الفحص بقوله: "بسيط جليل، تعي عن العد أبراجه، ومصانعه، تلوج مبانيها، ناجمة بين الثمار والزيتون... ففيها كثير من البساتين والرياض... تخترقه الجداول والأنهار"0، كما وصفه الحميري بأنه "أطيب البقاع بقعة، وأكرم الأرضين تربة، ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحه الفيوم"0.

كما يعتبر المناخ من أبرز العوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي، سواء أكان التأثير سلبيًّا أو إيجابيًّا، ولكون غرناطة جزءًا لا يتجزأ من إقليم البحر المتوسط، فإن جوها في الصيف تسوده الحرارة والجفاف، وفي الشتاء شديد البرودة والأمطار مثل سائر مناطق الأندلس0، إلا أنها تميزت بجوها المعتدل على مدار العام وبأنها مكشوفة للهواء الذي يأتيها من جهة الشمال0، وقد حالت سلسة الجبال الجنوبية من غرناطة دون وصول الرياح المحرقة إليها، فساعدت بذلك على اعتدال المناخ0، والمؤكد أن لهذا المناخ تأثيره العميق على أراضي غرناطة وعلى الإنتاج الزراعي مما أدى إلى تنوع الحاصلات الزراعية.

اعتمد أهل غرناطة في مياههم على مصادر عديدة للري مثل مياه الأمطار فضلاً عن مياه الآبار أو الأنهار أو غير ذلك، وهي أفضل مصادر الري للنبات0، ويقول ابن خلدون: "المطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، والزرع والثمار والضرع على نسبته"0.

اعتمد الزراع الغرناطيون على الأمطار في ري مزروعاتهم خاصة في المناطق الجبلية حول المدن0، وكان لاختلاف مواسم سقوط الأمطار واختلاف سطح الأرض المزروعة ما بين سهول ومرتفعات أثر كبير في تصنيف الأرض إلى نوعين: نوع يعتمد على المطر في سقياه ويُسمى "بعلا"، وآخر يعتمد في سقياه على مياه الأنهار ويسمى "زراعة سقيا"0، لذلك حرص الفلاحون على وضع نظام جيد للاستفادة من مياه الأمطار عن طريق إقامة صهاريج0 لحفظ المياه والانتفاع بها، ابتداء من شهر ديسمبر لاستعمالها وقت الحاجة، خاصة في فترة الجفاف وقلة الأمطار، كذلك بنى أهل غرناطة عدة قناطر على نهر شنيل وحدرة للغرض نفسه0.

حبت الطبيعة مملكة غرناطة بعدد من الأنهار التي تفيض على بسائطها فتزيد من خصوبتها وتساعد على قيام الزراعة، وأهمها نهر شنيل الذي يفيض بكميات كبيرة من المياه صيفًا عندما تذوب الثلوج، وبالتالي تنشط العملية الزراعية على ضفافه0، ونهر حدرة، ونهر المنصورة0، وبغرناطة أنهار موسمية كنهر وادي المرية0 الذي يفيض شتاءً، ونهر وادي مالقة الذي يفيض في الربيع0.

شكلت مياه العيون مصدرًا مهما من مصادر الري الصالحة لجميع الخضروات والمزروعات فى غرناطة، وبلغت شهرة خيراتها المائية الآفاق، وروى الغرناطيون الأراضي التي يقل بها المطر من العيون والنشوع0، وتفننوا في استخدام مياه العيون وتسييرها في قنوات للاستفادة منها0.

بلغت خبرة أهل الأندلس في حفر الآبار واستغلال المياه الجوفية أن نعتوا بكونهم يونانيين فى استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، واختياراتهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر0، فكانوا يحرصون على حفر البئر في موضع مرتفع من البساتين ليصل الماء سريعًا إلى جميع الأنحاء وخاصة المنخفضة0.

شجعت المقومات المتوفرة للزراعة في غرناطة سلاطين بني الأحمر على أن يولوا الزراعة حيزًا كبيرًا من اهتمامهم لتحسين الوضع الاقتصادي، حيث قام مؤسس المملكة "محمد بن الأحمر" بتوطين المسلمين الفارين من النصارى في مملكة غرناطة، ودعاهم إلى تنشيط الفلاحة وإحياء موات الأرض واستثمارها0، كما نافس السلطان "فرج بن إسماعيل0 ابن عمه في الفلاحة والاعتمار والازدياد والاستكثار حتى عظمت غلاته وغرساته0.

سار السلطان محمد الخامس0 على نهج أسلافه بل زاد عنهم، وكان لهذا الاهتمام أثر كبير في تطور طرق الزراعة وصمود مملكة غرناطة لأكثر من قرنين من الزمن0، حيث إن الأمراء والخلفاء أوصوا أن تكون الزراعة على أسس علمية صحيحة، كما أوصوا أن يُعامل المزارعون برفق، واعتبروا الموارد الزراعية أساسا مهما من أسس بقاء الدولة0.

برع الغرناطيون في تنظيم وسائل الري، فشقوا القناطر0، وشقوا الترع والجداول للاستفادة من مياه الأنهار، متبعين في ذلك نظام الرومان0، وكانت أكثر وسائل الري انتشارًا

هي الروافع من السواقي أو النواعير0 التي يديرها السواني0.

أفادت تلك الوسائل في زراعة ضفاف الأنهار والبسائط فامتدت المساحات المزروعة على ضفاف نهر شنيل وحدرة في غرناطة0، وعلى نهر واديي آش0 وبجاية اللذين يسقيان بساتين ألمرية0.

تضمن القانون الذي أصدره السلطان النصري أبو الحجاج يوسف الأول عام 741هـ/1272م إشارة لجر المياه إلى المناطق المتضررة من الجفاف، وذلك بإحداث "الينابيع والجسور والأنابيب"0، كما استفادت التجمعات السكانية بالمرتفعات الجبلية بأحواز غرناطة من المياه بفضل جهود الحاجب رضوان النصري (ت760هـ/1358م) الذي أجرى الماء بجبل مورور0، فنتج عن ذلك توسيع المساحة المسقية بضواحي غرناطة، وارتفاع مردود الحبوب0.

كان الغرناطيون على علم بطبائع الثمار وغراستها وزمن غرس كل نوع0، وزرعوا ثمارًا في غير أماكنها كقصب السكر واللوز اللذين زرعا في فحص البيرة0 مع أنهما لا يزرعان إلا في المناطق الساحلية0، واعتاد الفلاحون قبل غرس الأرض معرفة الجيد منها والرديء، وما يصلح لها من النبات، وكانت عملية الحرث تتوقف على نوعية الأرض، فالأرض البعل يشرع في حرثها في شهر يناير وديسمبر إلى مايو، أما أرض الري الدائم فكانت تحرث في أي وقت0، كما اتبع

فلاحو غرناطة طرقًا متعددة للعناية بالنبات، حيث تخلصوا من النباتات المصابة بحرقها ونقلوا غير المصابة إلى أماكن أخرى حتى لا تُصاب0.

نظَّم فلاحو غرناطة في عهد بني الأحمر سنتهم الزراعية وفق نظام الدورة الزراعية

الثلاثية الذي عُمل به في باقي أقاليم الأندلس، فكانت الأرض بين بور0، ومعمور0، وقليب0، وتقليب الأرض يبدأ عادة في شهر يونيو لتترك الأرض لحرارة الشمس؛ لأن بعض المحاصيل لا تجود إلا في أرض التقليب كالقمح0، وبعد حرث الأرض وتقليبها يتم تسويتها وتعديلها بميزان الماء الذي يُعرف "بالمرجيقل"0.

نظام الأراضي الزراعية:

امتلأت غرناطة بالبساتين والحدائق في عصر بني نصر وعُرفت البساتين بأسماء عدة منها المني0، والجنان0 فيقال للمزرعة أو البستان: جنة فلان، فكان هناك؛ جنة الجرف، وجنة العريف، وجنة ابن عمران، ومدرج السبيكة، ومدرج نجد0.

أكثر بنو نصر من بناء الحدائق والرياض، ومن أشهرها جنتا العريف والسبيكة، واحتفظوا فيها بمساحات واسعة تغطيها الأشجار الضخمة، وتجري تحت أقدامها المياه ويصف ابن زمرك جنة العريف بقوله:

فِيها الْمَعَارِفُ والْعَوَارِفُ تُصْفقُ لله جَنّاتُ الْعَرِيفِ فَإنّهَا

فَالْشّهْبُ مِنْ حَسَد عَلَيْه تُحَلّقُ0 حَسَدتْ بُرُوجُ الأُفْقِ حُسْنَ بُرُوجِهِ

تعددت أشكال المِلكية الزراعية في مملكة غرناطة، واستحوذت طبقة الخاصة عليها، فحاز سلاطين بني الأحمر القصور والضياع والبساتين والأراضي الزراعية التي عرفت باسم "المستخلص السلطاني"0 في مدن: غرناطة، وشلوبانية، ومترايل، وتوجد بها قصائب

الحمام والدواجن والحيوانات0، وهذه الضياع أو المستخلصات لم يُشرف عليها الأمير مباشرة، بل أجرها لمجموعة من المزارعين مقابل نصيب من المحصول0، فمثلا حين يأتي موسم جني ثمار الزيتون يشترط أن يكون أجر العامل عبارة عن كمية من الزيتون وكمية من الزيت المستخلص منه0.

امتلك كبار الأعيان الأراضي الزراعية، واختصوا لأنفسهم البساتين الكبيرة والضياع المتعددة، وملكوا الجنات الواسعة0 فدرت عليهم ثروات طائلة وحفظت لهم مكانتهم، فمن أعيان مالقة "عبد المنعم بن سالم بن عبد الله" (ت703هـ/1304م) الذي كان راويًا لسنن أبى داود0 ومن أعيان غرناطة "أبو محمد عبد الله بن منخل الغافقي" (ت731هـ/1331م)0.

غلب على سكان غرناطة في ظل ملوك بني الأحمر العمل بالفلاحة والعمل في الأراضي الزراعية على سبيل التعيش منها مثل "أحمد بن صفوان بن عبد العظيم الجذامي الغرناطي" (ت763هـ/ 1361م) كان متعيشًا من العمل في الفلاحة0، فيقوم بحرث الأراضي وتقليبها وريها.

من أشهر المدن التي اختص أهلها بالعمل فى الفلاحة "شلوبانية" التي كانت من أملاك بني الأحمر، لهذا كان جميع أهلها زراعًا فقراء0، وشريش وكان أهلها أهل حرث وزراعة0، ومترايل وكانت من مستخلص السلطان فبات أهلها عديمي الأعيان يعملون في الفلاحة0، وأنتقيرة محل الحرث والأنعام0، وشلب التي كان أهلها يقرضون الشعر أثناء عملهم في حرث الأرض0.

ضمت مملكة غرناطة ما يقرب من ثلاثمائة قرية، منها ما كان عدد سكانه يبلغ الآلاف ويشتركون في امتلاكه، ومنها ما كان يمتلكها شخص واحد أو اثنان فصاعدًا0.

أراضي الأحباس0

انتشرت أراضي الأوقاف على مساحات واسعة في غرناطة، وكانت تُحبس لأعمال الخير، فقد حُبست فائدة شجرة توت وأراضٍ زراعية على أوجه الخير والمساكين فى مدينة بلّش، التي حُبس لها كذلك معاصر الزيتون وأراض على من يقوم بحراسة أسوارها ليلاً حتى لا تتعرض للهجوم المفاجئ من قبل النصارى في عصر بني الأحمر0.

كثرت الأحباس في بلّش في ظل ملوك بني الأحمر حتى إن أهلها أخذوا يصرفون الفائض من الوقف على ما يفيدهم، ومن ذلك ما وقع في وقف أحد مساكن قراها، حيث صُرف الزائد من الوقف على بناء برج على صومعة المسجد لاستطلاع أخبار النصارى حتى لا يداهموا المدينة على حين غِرّة من أهلها0.

أوقف القائد خالد بن أبي الحسن الغرناطي على حصن أرجدونة التابع لمالقة، "ثلث أملاكه من الأراضي الزراعية فى قرية اليسانة التابعة لغرناطة وقفا مخلدًا ينتفع به أهل الحصن على الدوام حتى يرث الله الأرض ومن عليها"0.

أراضي الإقطاع0

لجأ أمراء بني الأحمر إلى تطبيق سياسة ذات أثر فعال في إنعاش الزراعة، عن طريق منح بعض الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم لزراعتها واستثمارها، وذلك على شكل إقطاعات فى مقابل واجب الدفاع عن المملكة، وهؤلاء عملوا على استغلالها مما ساعد على ازدهار الزراعة ونموها0.

أقطع السلطان "محمد الأول بن الأحمر" عند قيامه بتكوين جيش نظامي دائم لمملكة غرناطة، جنوده بعض الأراضي لزراعتها، وخُصص جزء من دخل هذا الإقطاع للدفاع عن قلعته، أما الجزء الآخر فوضعه على الحدود، وأقطع لكل واحد منهم قطعة من الأرض لإعالة نفسه وعائلته من ريعها0.

منح سلاطين بني الأحمر خواصهم بعض الإقطاعات، لا سيما إن كان أحد هؤلاء الخواص قد كُلف بمهمة فأتمها على خير ما يكون، فمن ذلك أن السلطان "محمد الخامس" بعث المؤرخ "ابن خلدون" بسفارة سياسية سنة 765هـ/1364م إلى بدرو القاسي(751-769ه/1350-1369م) ملك قشتالة لإتمام عقد الصلح بين الأخير وملوك كل من غرناطة والمغرب فأتم ابن خلدون مهمته بنجاح فأقطعه السلطان "محمد الخامس" قرية إلبيرة قطعة خالصة له0.

في ظل نظام الإقطاع الذي ساد في مملكة غرناطة أصبح السواد الأعظم من الزراع يعملون أجراء في الأرض لدى طبقة الخاصة الذين يستحوذون على أراضي المستخلص أو أراضي الإقطاع، وبهذا لم تخرج ملكية الأراضي الزراعية بمملكة غرناطة عن كونها أملاكًا للدولة تابعة للقصر السلطاني، يشرف عليها موظفون مختصون، أو أملاكًا وقفية أو أملاك الخواص0

العوامل المؤثرة في الزراعة:

تأثر الإنتاج الزراعي بعدة عوامل أسهمت في إضعافه والتقليل من موارده في بعض الفترات، فقد شهدت مملكة غرناطة، حالات جفاف وعدم سقوط للأمطار، مما كان له أبلغ الأثر في هلاك المزروعات والحيوانات، وجوع الناس، وضعف الثروة الزراعية().

دخل السلطان النصري "محمد الخامس" مالقة فى عام (763هـ/1362) ولم يكن بها طعام ولا ماء()، كما حل القحط عام (815هـ/1412م) وفي مثل هذه الحالات كان الأهالي يخرجون لصلاة الاستسقاء، ويدعون ربهم نزول الغيث().

كان سقوط الأمطار الغزيرة يحدث سيولاً جارفة وفيضانات في الأنهار، أدت إلى تدمير العديد من القرى والأراضي الزراعية وجرفها، وتخريب بعض السدود والقناطر المقامة على هذه الأنهار، مما أثر في حركة الناس ومعاشهم، وقد أهّل وقوع مملكة غرناطة في منطقة حوض البحر المتوسط لظروف مناخية أدت إلى سقوط الأمطار بغزارة().

رصدت المصادر التاريخية- المتاحة بين أيدينا- بعض الكوارث الطبيعية، وما آلت إليه أحوال البلاد، فقد ابتُليت غرناطة في عهد السلطان "أبي الحسن" (868-887هـ)(1463-1482م)() في عام (883هـ/1478م) بسيل عظيم أدى إلى دمار البلاد، ولم يبق على المساجد والأشجار والحوانيت والفنادق والأسواق، ومنذ ذلك الحين كثرت الضرائب في البلدان، ومكس الأسواق()، كما تعرضت غرناطة في عهد السلطان "أبي الحجاج يوسف الأول" (733-755هـ)(1333-1354م)() لوباء الطاعون في عام (749هـ/1348م) الذي ترك بصماته السيئة على ممتلكات السكان، بما فيها مزارعهم وبساتينهم()، حيث هلك الناس وفر الكثير، ومن ثمَّ تدهورت الثروة الزراعية().

يصور لنا النباهي أعداد ضحايا الطاعون الأسود بقوله: "انتهى عدد الأموات في تلك الملحمة الوبائية بمالقة إلى ما يزيد في اليوم على الألف، وبقي بعد ذلك أشهرًا حتى خلت الدور، وعمرت القبور"()، وقضى الطاعون على الكثير من رجال العلم والزعماء منهم ابن الجياب().

تعرضت غرناطة كذلك في عام 852هـ/1448م للجراد الذي اجتاح شرقيها بصورة عجزت الأهالي فيها عن مقاومته، وكان انتشاره بالتحديد في وادي آش وبسطة وأشكر ووادي المنصورة، فأخذ يتكاثر ويهدد بانتشار المجاعة، فحفروا له الأخاديد، وفتحوا عليه السواقي، وداسوه بالأرجل، واستخدموه بعد ذلك سمادًا للأرض().

أثر صراع بني الأحمر مع الممالك النصرانية الأخرى()، على الزراعة في المملكة تأثيرًا سلبيًّا، كما كان للخلافات التي نشأت بينهم وبين بني إشقيلولة() واستعانة بني الأحمر بأعدائهم النصارى() ومحاولة بعض الولاة التابعين لهم شق عصا الطاعة والثورة عليهم() أثر سيئ على الزراعة في المملكة، هذا إلى جانب الثورات التى قام بها أهل البلاد، ووصل مداها إلى أن أقصت سلطانًا عن الحكم ونصبت سلطانًا آخر، وهو ما تم مع السلطان "أبي عبد الله محمد الثالث" الذي تآمر أهل غرناطة على إقصائه عن الحكم سنة 708هـ/1308م، وولوا مكانه أخاه أبا الجيوش نصر بن محمد الفقيه حاكمًا على المملكة()، وحين زاد أبو عبد الله البرميخو761-763هـ/1360-1362م() الضرائب على رعاياه، وأنزل الجنود فى دورهم() كان لذلك بالغ الأثر في اضطراب الأمور عليه.

أدت كثرة الخلافات والثورات والاضرابات التي أشير إلى بعضها سابقا لإهمال الأراضي الزراعية وشئون الري، وانعكس ذلك على وضع الفلاحين، فلجأوا إلى سد عجز المحصول عن طريق استيراد بعض المحاصيل الزراعية من المدن المجاورة للمملكة().

عانى أهالي غرناطة من النتائج السلبية للكوارث الطبيعية والغارات المسيحية والثورات المتكررة بين أفراد الأسرة الحاكمة، إلا أن هذا كشف عن سياسة التكافل لدى بعض السلاطين، مثل السلطان أبي الحجاج يوسف النصري (733-755هـ/1333-1354م) الذي كان في مثل هذه المحن يوزع الهبات والعطايا والصدقات على المحتاجين قبل كل شيء().

المحاصيل الزراعية:

اشتهرت مملكة غرناطة بإنتاج العديد من المحاصيل الزراعية، ولأهمية الحبوب أولاها الغرناطيون جانبًا كبيرًا من اهتماماتهم وعنايتهم، لضرورتها في الحياة اليومية، إذ يستفاد من القمح والشعير والفول وسائر أنواع الحبوب في مجالات الصناعة الغذائية التي لا غنى عنها، كما أن للقمح والشعير أهمية خاصة، باعتبارهما من المحاصيل الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد الدولة، إذ كانا يُشكلان موردًا من موارد الدخل().

انتشرت زراعة الحبوب وفي مقدمتها القمح في أنحاء مختلفة في المملكة، ففي فحص غرناطة مثلاً كان يزرع القمح والشعير والذرة العربية وأصناف القطاني()، وفي سهول الكنبانية() والبراجلات()، ويذكر ابن الخطيب أن الأخيرين: "بحر من بحار الحنطة ومعدن من معادن الحبوب المفضلة"()، كما انتشرت غلات القمح والشعير أيضاً في المنكب() وحصن سهيل()، وإستجة()، وألمرية التي يختزن بها الشعير لفترة طويلة دون أن يتسوس()، وقنب وقرطمة() وكان الغرناطيون يقومون بتخزين القمح في صوامع تحت الأرض، ومما يدل على كثرة القمح فى غرناطة كثرة الأرحاء بها().

عُدَّ الزيتون من الأغذية الأساسية اليومية فى حياة الأندلسيين، لهذا انتشرت زراعته في مناطق شاسعة من الأراضي الأندلسية() في بجانة() وبسطة() ومدينة وادي آش() التي أنتجت كميات كبيرة منه وكذلك غرناطة()، كما انتشرت زراعته في قمارش() وألمرية()، وإذا كانت أشجار الزيتون قد تناقصت في الأندلس بعد استيلاء النصارى على إشبيلية سنة (646هـ/1248م) فإنها بقيت مزروعة فى أماكن متفرقة في مملكة غرناطة، إذ وجدت في لوشة التي كان يوجد بها قبل الاسترداد بقليل 4328 شجرة زيتون().

اشتهرت مدن كثيرة في مملكة غرناطة بزراعة القطن والكتان، فكانت الأعشاب التي تدخل في صناعة الأقمشة والمنسوجات، تزرع في المدن التابعة لغرناطة على نطاق واسع، كالقطن والكتان، والزعفران، والعصفر، فكثرت زراعة القطن في رندة() ومنطقة وادي آش()، وإلى جانب القطن زُرع الكتان بكميات وفيرة أيضًا في وادي آش، ويذكر الحميري أن "كتان فحص غرناطة يربو على كتان النيل، ويكثر حتى يصل إلى أقاصي بلاد المسلمين"()، كما وصف ابن الخطيب ألمرية "ببلد الكتاني"().

تميزت الأندلس عامة بزراعة الزعفران() والعصفر()، وهما من النباتات التي تدخل فى صناعة الأصباغ() فاشتهرت باغة() بكثرة الزعفران، وكانت تصدر الفائض للخارج()، أما بسطة فقد اختص أهلها بمعالجة الزعفران، فكانت تنتج منه ما يكفي لسد حاجة مسلمي الأندلس() وكانت

زراعة العصفر تجود في عدة مدن أهمها ألبيرة، ومن الأصباغ الشائعة أيضًا في البلاد القرمز الذي ينزل على شجر البلوط، فيجمعه الناس ويصبغون به، فيخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حُمرة.

ومن الأشجار المثمرة ذات الفائدة الاقتصادية الكبيرة أشجار التوت، واستفاد الغرناطيون منها في تربية دودة القز، التي يستخرج منها الخيوط التي تستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية، وقد كثرت زراعته في منطقة وادي آش، وأندرش، وفنيانة(4) وبسطة، وحصن شنش، كما كثر الحرير أيضًا في منطقة جبل شلير، وألمرية، ودلاية، ومالقة، كما توصف سهول الكنبانية والبراجلات، وإقليم بشرة بني حسان وشبالش، بأنها معدن من معادن الحرير.

أما قصب السكر (الطَّبَرْزَلْ)، فقد كثرت زراعته بمدن متفرقة من إقليم غرناطة،

حيث زرع فى فحص غرناطة وشلوبين، وتعد مدينة المنكب من أوسع المناطق زراعة لقصب السكر حتى إنها تعتبر مركزًا مهمًا لتصديره إلى مختلف البلدان.

اشتهرت مملكة غرناطة بزراعة الفاكهة، فنجد أن مدينة غرناطة كانت من أكثر مدن الإقليم إنتاجًا لعدة أنواع من الفاكهة، منها التفاح حيث اشتهرت جليانة من أعمال وادي آش بالتفاح الجلياني، الذي يمتاز بحلاوة الطعم، وذكاء الرائحة، كما انتشرت زراعته في منطقة جبل شلير، أما القراصيا البعلبكية، فانتشرت زراعتها في غرناطة، وامتازت بجمال مظهرها وحلاوة مذاقها.

أنتجت غرناطة في ظل بني الأحمر كميات وفيرة من التين والعنب، فمدينة غرناطة كانت كثيرة الأعناب والتين والخوخ والكمثرى، أما مالقة، فاشتهرت بكثرة إنتاج العنب والتين، فغطت مزارع الكروم مساحات شاسعة من أراضيها وسهولها، وكان أهلها يحتفلون بعيد عصره خلال إقامتهم بالمباني الريفية في الحقول أيام جنيهم له، واشتهرت بزراعة التين حتى إن المنطقة الساحلية الواقعة بين حصن سهيل وبليش مالقة كلها كانت مغروسة بأشجار التين الربّي، وكان يصدر إلى مصر والعراق ووصل إلى الهند والصين، وذلك لجودته وحلاوته.

انتشرت زراعة الموز وبكميات كبيـرة فى كل من شلوبينيـــــة وشَمْلَـــــجَهُ والمنكب، واشتهرت كل من غرناطة ومالقة بزراعة الرمان وللرمان أنواع كثيرة منها الأمليسي والمرسي والشعري والقسطيسي والعدسي والسفري، ويعد هذا الأخير من أشهر أنواع الرمان وأكثرها انتشارًا، وكانت قشور الرمان تستعمل فى صناعة الأصباغ.

زرعت غرناطة وضواحيها النباتات العطرية والطبية على نطاق واسع، ويذكر ابن الخطيب أن السُّنْبَلَ، والجنطيانا، كانت وفيرة في الجبال والوديان، هذا إلى جانب الحناء، وعود اليلنجوج الذي لا يفوقه العود الهندي ذكاءً وعطرًا ورائحة والأفاوية فى جبل شلير ونبات الحور.
كست أشجار الدوراء والصفصاف والسرو والصنوبر المزروعة على حافة القنوات والجداول الأراضي الغرناطية باللون الأخضر على امتداد البصر، ومن تلك الأشجار تكونت غابات مملكة غرناطة، وكانت مناطق مالقة ورندة مغطاة بالأشجار، أما أشجار الغابات التي كانت تحيط بأسوار مدينة بسطة فقطعها النصارى عندما حاصر الملك فرناندو هذه المدينة سنة 895هـ/1489م
نظام تخزين المحاصيل:
كان تخزين الطعام أمرًا ضروريًّا تحسبًا لما يمكن أن يحدث من الفتن والمجاعات والحروب، فكان المخزن والمطمورة جزءًا أساسيًا في بيت المزارع فبعد جمع المحصول يُنقل إلى المطامير أو الأهراء كي لا يتعرض للفساد، ففي أوقات اشتداد العدوان النصراني على مملكة غرناطة، كان المزارعون في قرى أندرش، ووادي آش، وقرية شريش، وفنيانة يضعون مخزونهم في حفر تحت الأرض مخصصة لحفظ الغلال والرجوع إليها وقت الأزمات، وتمكنوا وقت الحصار النصراني لمدينة غرناطة من جمع كميات من القمح والشعير والذرة، وطلبوا من أهالي غرناطة الخروج بدوابهم لحملها إلى غرناطة لدعم الصمود الإسلامي فيها، فخرج السلطان أبو عبد الله محمد بن علي (782-897هـ/1487-1491م) على رأس جمع غفير من الدواب، وكان فحص "قافرة" بمالقة من أجود الأماكن لتخزين الغلات الزراعية، حيث برع أهلها في تخزين المحاصيل الزراعية كالحبوب والفاكهة، فنجد سلطانها أبا سعيد فرج بن إسماعيل (ت720هـ/1320م) غصت بيوت الأهراء بحبوبه.
الخاتمة:
أظهرت الدراسة أن جغرافية إقليم غرناطة ووفرة المياه ساعدت على انتشار الزراعة بشكل كبير، وان فلاحيها برعوا في النشاط الزراعي، ونوعوا في منتجاتهم التي ملأت الأسواق.
بينت الدراسة أن الزراعة في مملكة غرناطة صارت على نطاق واسع في عصر بني الأحمر، حيث نافس السلاطين بعضهم البعض في الفلاحة والاعتمار، كما برع المزارعون الغرناطيون في كيفية إجراء المياه تحت الأرض والاحتفاظ بمياه الأمطار في صهاريج للاستفادة منها وقت الحاجة حتى غدت مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر جنة خضراء .
توصلت الدراسة إلى إنه بالرغم من براعة فلاحي المملكة وجهدهم في الارتقاء بالمملكة إلا أنهم لم يأخذوا حقوقهم كاملة وظلوا أجراء عند الملوك وأصحاب النفوذ، وعانوا من كثرة الضرائب التي فرضت على كاهلهم من قبل بعض الملوك مثل السلطان البرميخو، وكثرة الحروب التي تعرضت لها المملكة مما أدى إلى هلاك الزرع والأراضي، هذا بالإضافة إلى أن مهنة الفلاحة اقتصرت على العامة من الناس ولم تكن مهنة المترفين والأغنياء.

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

(1) الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي الحسني، ت 564ه/1169م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2002م).

(2) ابن بصال (أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام): كتاب الفلاحة، ترجمة: خوسي مارية مياس بيبكروسا، ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان،1955م.

(3) الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، ت922ه/1517م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت1975م.

(4) ابن الخطيب (لسان الدين، ت776ه/1374م): اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة 1347ه/1928م.

(4) _____: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة1973م.

(5) _____: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة1980 .

(6) _____: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة من

رسائله، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1983م.
(7) _____: الديوان، تحقيق: د. محمد مفتاح، ط3، دار الثقافة، الدار البيضاء،1989م.
(8) _____: خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، ط1، دار السويدي، أبو ظبي2003م.
(9) _____: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2011م.
(10) _____: روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق: د. عبد القادر أحمد عطا ، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
(11) _____: نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، تحقيق: د.السعدية فاغية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، د.ت.
(12) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت808ه/1405م): التعريف بابن خلدون ورحلته، دار الكتاب اللبناني1979م.
(13) الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف، ت387ه/997م): مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت1989.
(14) الدينوري (أبى حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ت282ه/895م): كتاب النبات، تحقيق: برنهارد لفين، دار فرانز شتانير،1974م.
(15) الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني، ت1205ه/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: مصطفى حجازي، مطبعة الحكومة 1990م.
(16) الزجالي (أبو عبد الله بن أحمد القرطبي، ت694ه/1294م): أمثال العوام، تحقيق: د. محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس1975م.
(17) ابن زمرك (محمد بن يوسف الصريحي، ت بعد عام795ه): ديوان بن زمرك الأندلسي، تحقيق: د. محمد توفيق النيفر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت1997م.
(18) الزهري (أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزهري، ت في القرن السادس الهجري، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
(19) ابن سعيد (أبى الحسن علي بن موسى الأندلسي، ت685ه/1286م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، بيروت1970م.
(20) _____: المغرب في حلي المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
(21) ابن سيده (أبى الحسن على بن إسماعيل المرسى، ت458ه/1065م): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت2000م.
(22) _____: المخصص، دار الكتب العلمية، د.ت.
(23) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت911ه/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط1، القاهرة1965م.
(24) الشاطبي (أبى إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، ت790ه/1388م): فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط2، تونس1985م.
(25) ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي، من القرن 5ه/11م): رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة1955م.

(26) العذري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بالدلائي، ت478ه/1085م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت

(27) العمري(شهاب الدين بن أحمد بن يحيى بن فضل الله، ت749ه/1348م) مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت2010م.

(28) ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب): قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، م1،القاهرة1955م.

(29) الغساني (محمد بن عبدالوهاب، ت1119ه/1707م): رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم: نوري الجراح، ط2، دار السويدي، أبو ظبي2002م.

(30) ابن فركون (أبى الحسين بن احمد بن فركون): ديوان ابن فركون، تحقيق: محمد بن شريفة، ط1، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب1987م.

(31) ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أحمد، ت1025ه/1616م): جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، فاس1973م.

(32) القرشي (يحيى بن آدم القرشي، ت203ه/818م): الخراج، تحقيق: د. حسين مؤنس، ط1، دار الشروق، القاهرة1987م.

(33) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت682ه/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

(34) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت821ه/1418م): صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة1915م.

(35) القلصادي (أبى الحسن علي القلصادي الأندلسي، ت891ه/1486م) رحلة القلقصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، تونس1987م.

(36) اللخمي (ابن هشام اللخمي، ت577ه/1181م): المدخل إلى تقويم اللسان ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت2003م.

(37) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب، ت450ه/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت1989م.

(38) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: د. سعد زغلول عبدالحميد، الكويت، 1985م.

(39) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، مدريد1983م.

(40) مجهول: نبذة العصر في أخبار انقضاء دولة بني نصر، تعليق: أ. ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2002م.

(41) المطرزي (أبى الفتح ناصر الدين، ت610ه/1213م): المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري، عبدالحميد مختار،ط1، مكتبة أسامة بن زيد، سوريا1979م.

(42) المقري (أحمد بن محمد التلمساني، ت1041ه/1631م): أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، ج2، ج3تحقيق: مصطفي السقا، إبراهيم الأبياري، مكتبة لجنة التأليف، القاهرة 1939-1940م - ج5 تحقيق: سعيد أحمد أعراب، د. عبدالسلام الهراس، الرباط1979-1980م – ج8 تحقيق: سعيد أحمد أعراب، محمد بن تاويت، الرباط 1978.

(43) _____: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت1968م.
(44) ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين، ت711ه/1311م): لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
(45) الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، ت1315ه/1897م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، 1997م.
(46) النباهي (أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي، ت في القرن 8ه/14م) تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ط5، دار الآفاق، بيروت 1983م.
(47) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبى عبدالله، ت626ه/1229م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت1977م.
ثانيا: المراجع العربية والمعربة:
(48) د. أحمد عيسى بك: معجم أسماء النبات، ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1349م.
(49) _____: تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي، القاهرة2012م
(50) د. أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تقديم: د. أحمد مختار العبادي: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية1997م.
(51) جهاد غالب مصطفى الزغول: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1، مركز الأفق، الأردن2001م.
(52) د. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة1980م.
(53) خالد عبدالله الشريف: مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها، ط1، دار فيصل للبحوث، الرياض2009.
(54) ديورانت (ول): قصة الحضارة "عصر الإيمان" ، ترجمة: محمد بدران، دار الخيل، بيروت، د.ت.
(55) د. سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2003م.
(56) شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت1983م.
(57) د. عبدالهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان المغرب والأندلس(ق6-8ه/12-14م)، ط1، دار الطليعة، بيروت2008م.
(58) د. علي عبدالله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1985م.
(59) د. كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية1997م.
(60) كولان ج.س: الأندلس، ترجمة: لجنة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1980م.
(61) د. محمد بشير حسن راضي العامري: دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي

ط1، دار غيداء، الأردن2012م.
ثالثا: الدوريات:
(62) د. أحمد مختار العبادي: فترة مضطربة من تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م7-8، مدريد1959-1960م.
(63) _____: لسان الدين بن الخطيب، مجلة عالم الفكر، ع2، م16، الكويت1985م.
(64) د. إقبال حسن أحمد: منيات الأندلس، مجلة التراث العلمي، م4، بغداد2011م.
(65)) عبدالعزيز الأهواني: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العوام، مجلة معهد المخطوطات العربية، م3، القاهرة1957م.
(66) محمد الحبيب ابن الخواجة: حضارة الأندلس من خلال رسالتي بن حزم والشقندي، مقال في ندوت التراث المشترك بين إسبانيا والمغرب، ط1، الرباط 1992م.

Abstract

This research on agriculture in the Kingdom of Granada under Bani Al-Ahmar, we deal with the components of agriculture from the fertile soil and climate and irrigation sources that helped the success of fruit cultivation in the cities and villages of the Kingdom, and then talked about the system of agricultural land and the possession of senior state officials for the loss of large - and feudal lands. Under this system, the majority of the agricultural sector is located in the land of the private class, in addition to factors affecting agriculture that affected agricultural crops from heavy floods and low rainfall, revolutions between members of the ruling family and epidemics, agricultural crops in the Kingdom,